

التفسير الإيديولوجي للصراع الإيراني - السعودي The Ideological Interpretation Of The Iranian-Saudi Conflict

أ. إلياس ميسوم، أستاذ مساعد قسم - أ - (*)

جامعة وهران 2 محمد بن احمد، الجزائر.

ilyespoli@hotmail.com

تاريخ القبول: 2019/06/14

تاريخ المراجعة: 2019/06/11

تاريخ الإيداع: 2018/07/06

ملخص:

يُعد الصراع الإيراني - السعودي أحد أكثر الصراعات الدولية القائمة جدّة، والذي تم تفسيره على ضوء عدة أسباب ونظريات، وهذا راجع بشكل أساسي إلى الظاهرة الصراعية في حد ذاتها بحيث تعتبر حمالة أوجه إذ يُمكن تفسيرها وقراتها من عدة زوايا وأبعاد من جهة، و إلى تشابك القضايا الخلافية بين طرفي الصراع من جهة أخرى.

و الحال، أنّ الصراع الإيراني - السعودي بلغ - منذ بداية عام 2016 - مرحلة دراماتيكية من التوتر أدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين لثاني مرة في أقل نصف قرن من الزمن مما يطرح العديد من التساؤلات حول سبب هذا الصراع المستديم بين هذه البلدين.

استناداً على ما سبق، نسعى - في هذه الورقة - إلى محاولة الاقتراب من الصراع الإيراني - السعودي بالاعتماد على أحد المداخل الأكثر شيوعاً في تفسير الصراع الدولي، ونقصد بذلك المدخل الإيديولوجي أي الأفكار والمعتقدات السياسية التي تتبناها دولة ما وتبني عليها سياستها وتوجهاتها مع العالم الخارجي لا سيّما أن كل من إيران والسعودية تُمثّلان نظامين سياسيين يدعيان أن سياستهما تركز على الإسلام والقيم الإسلامية كإيديولوجية دولة، مع ذلك يبقى أنّ كل واحد منهما - أي النظامين السياسيين - بحكم الواقع يتبنى تفسيرات متباينة للإسلام (الوهابية / الشيعية).

الكلمات المفتاحية: الصراع؛ الصراع الإيراني - السعودي ؛ نظريات تفسير الصراع؛ المدخل الإيديولوجي؛ الوهابية؛ الخمينية.

Résumé :

Le conflit irano-saoudien, est l'un des événements les plus marquants, qui se manifeste avec autant d'acuité en raison de certains paramètres et théories, principalement la nature conflictuelle qui porte sur plusieurs aspects multidimensionnels avec lesquels il faut évoquer tous les facteurs possibles sur différentes formes et angles en vue de pouvoir voir plus clair sans oublier les questions en suspens et les litiges qui perdurent entre les parties en conflit.

(*) المؤلف المراسل.

Les rivalités entre les camps ont atteint une étape dramatique à partir de l'an 2016 où on a assisté à une rupture des relations diplomatiques pour la troisième fois dans l'histoire des deux pays.

Dans cet article, nous essayons d'esquisser une approche sur le conflit irano-saoudien en favorisant l'introduction la plus répandue dans le traitement d'un conflit international en évoquant tout d'abord le plan idéologique c'est-à-dire les idées et les croyances politiques que le pays adopte, toutefois, sur la base de ces données toutes les recommandations, orientations seront désormais issues de la politique qui régit les relations internationales, d'autant plus les deux nations représentent deux systèmes politiques qui prétendent que leurs politiques respectives prônent et incarnent les valeurs de la religion musulmane. Alors que l'écart principal entre eux réside clairement dans leurs principes fondamentaux (wahhabite / chiite) ce qui interprète les divergences d'interprétations dans les faits de leurs actions.

Enfin, cette étude est axée sur la question suivante: **le Variable idéologique peut-il jouer un rôle déterminant dans l'apaisement des tensions actuelles entre l'Iran et l'Arabie saoudite?**

Mots-Clés : Le Conflit ; Le Conflit Irano-Saoudien; Théories de L'interprétation des Conflits; Idéologique; Wahhabisme; Khomeynisme.

مقدمة:

يُعد الصراع من الظواهر الانسانية التي عرفها البشر منذ الأزل، نتيجة لعدة أسباب واعتبارات قد تكون مادية أو نفسية أو فكرية... إلخ. وعلى هذا، يُمكن التمييز بين نوعين (02) رئيسيين من الصراعات: **صراع القيم** كالصراع العرقي، والديني، والإيديولوجي؛ و**صراع المصالح** كالصراعات الحدودية، وصراعات الهيمنة، والصراعات الاقتصادية. والحقيقة، أنَّ العلم الأكاديمي الذي يدرس الظاهرة الصراعية على عكسها تمامًا إذ هو حديثًا نسبيًا ومتعدد الأقطاب والزوايا — من علم الاجتماع إلى الاقتصاد إلى علم النفس ... إلى علم السياسة والعلاقات الدولية — فهو يحتوي على مقاربات نظرية كثيرة ومستويات عديدة ومتباينة للتحليل، إضافة إلى تداخله وترابطه مع مفاهيم أخرى ك: النزاع (Dispute)، وعدم الاتفاق، والتوتر، والمنافسة، والاختلاف، والأزمة، والحرب. لهذا السبب، أصبح الصراع واحدًا من أكثر المفاهيم غموضًا وإثارة للجدل وعدم التوافق على معناه. هذا فضلًا عن التفاوت في مستويات الظاهرة الصراعية من حيث المدى والكثافة والعنف.

ويُعرف الصراع بشكل عام على أنه: "تنازع الإدارات القومية وهو التنازع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول وفي تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها مما يؤدي إلى تعارض الأحداث والمواقف ويؤدي في التحليل الأخير إلى اتخاذ قرارات وانتهاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق"⁽¹⁾. أمّا، فيما يتعلق بالنظريات المفسرة للصراع فهي تتصف بالتنوع والثراء. كما تتميز أنَّها عابرة للتخصصات بحيث أن فروعًا علمية كثيرة اهتمت به وعالجته سواءً كظاهرة عامة أو بالتركيز على الصراع الدولي بوجه خاص. ولعل أكثر المداخل التفسيرية للصراع شهرةً تلك المتعلقة بالصراع الإيديولوجي بين

(1) محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط، القاهرة، 1996، مكتبة غرب

الأطراف الدولية، حيث لقي هذا التفسير لدى العديد من المفكرين والباحثين لا سيَّما في منتصف القرن المنصرم أثناء الصراع الكوني بين القطبين الغربي والشرقي. ويحاول المدخل الإيديولوجي (The Ideological Approach) بشكل عام تفسير أسباب التصادم بين الأمم من خلال إرجاعها لأسباب فكرية وعقائدية بدرجة أولى.

والحقيقة، أنَّ هذا التفسير يعود بجذوره الحديثة للنظرية والفكر الماركسيين المبنيين أساسًا على الصراع الطبقي كحتمية تاريخية، ذلك أنَّ التاريخ البشري ما هو سوى تاريخ للصراع بين الطبقات كما يقول كارل ماركس (Karl Marx). ومع قيام الاتحاد السوفيتي تم إحياء هذه الإيديولوجية القائمة على التصادم، حيث أنَّ التناقضات الإيديولوجية بين القوى الدولية في المجتمع الدولي تُمثل الحقيقة الأساسية التي تنبع منها وتدور في فلكها كافة أشكال الصراعات الدولية المعاصرة. وعلى هذا الأساس، فإنَّ حدوث الصراع الدولي - طبقًا لهذا المدخل - يترتب على التناقض في الرؤى الإيديولوجية والنتائج المرتبطة به التي تجعل من غير الممكن تسوية أو حل هذه الصراعات من خلال عملية المساومة. بل إنَّ الأمر يصبح أكثر صُعوبةً عندما يتعلق الموقف بصراعات المصالح المرتبطة بتشعب الاختلافات الأيديولوجية بين طرفي أو أطراف الصراع بحيث يضيف البُعد الإيديولوجي وضعًا خاصًا على الصراع يزيد من تعقيد، فيصعب بالتالي على طرفيه - أو أطرافه - التوصل إلى حلول مُرضية لكليهما⁽¹⁾.

وبطبيعة الحال، فإنَّ التفسير الإيديولوجي دونه عدة مشاكل لعل أبرزها الخلل القائم في مفهوم الإيديولوجية في حد ذاتها بحيث تُعد كلمة إيديولوجيا كما يُشير عبد الله العروي دخيلة على جميع اللغات الحية وتعني لغويًا في أصلها الفرنسي علم الأفكار، لكنَّها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضمونها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة حتَّى على لغتها الأصلية. وعلى هذا الأساس، ليس من الغريب أن يعجز الكتاب العرب عن ترجمتها أو استيعاب معناها بشكل مُرضي، حيث أن العبارات التي تقابلها على غرار منظومة فكرية، أو عقيدة، أو ذهنية،... إلخ تشير في الحقيقة إلى معنى واحد من بين معانيها⁽²⁾.

وظهرت كلمة إيديولوجيا (Idéologie) أوَّل مرة عام 1796م مع الفيلسوف الفرنسي أنطوان ديستودو تراسي (Antoine Destutt de Tracy) رائد الوضعية وورث المدرسة الحسّية (Sensualisme) لـ إيتين بونوت دي كوندياك (Étienne Bonnot de Condillac). وقد كان دو تراسي أوَّل من صاغ كلمة إيديولوجيا لتسمية عملية تحليل الأفكار بصفتها أشياء بعيدة عن أي مدلول ميتافيزيقي، وكمراذف لعلم طبيعي للأفكار شبيه بعلم النبات وعلم الحيوان الطبيعيين، بهدف دراسة أصول هذه الأفكار وعلاقتها بطريقة تجريبية ومنطقية. وتتوفر الإيديولوجيا على شحنة انفعالية كبيرة تقرَّب الشقة FISSURE بينها وبين العاطفة الدَّينية، وعلى جهاز منطقي عقلي يعطيها مظهرًا علميًا وفلسفيًا إلَّا أنَّها في الحقيقة ليست علمًا ولا فلسفة ولا دِّينًا⁽³⁾. كما تُحدد الإيديولوجية أو الأدلوجة

(1) محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، المرجع السابق، ص 12.

(2) عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط 8، الدار البيضاء، 2012، المركز الثقافي العربي، ص 9.

(3) داريوش شايفان، ما الثورة الدَّينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة، ترجمة: محمد الرحوموني، بيروت، 2004، دار الساق، جنيف: مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، ص 217، 225.

أفكار وأعمال الأفراد والجماعات بشكل خفي وغير واعي، ولكي يصل الباحث إلى رسم عالمها لابد له من تحليل وتأويل أعمال أولئك المعاصرين لها⁽¹⁾.

وإذا أسقطنا هذا الكلام على الصراع الإيراني - السعودي أي تفسير الصراع من مُنطلق إيديولوجي بحت، فإنه، يتحتم علينا الرجوع بالذاكرة إلى الوراء قليلاً حتى يتسنى لنا رصد واستخلاص الإيديولوجية التي قام عليها النظامين السياسيين السعودي والإيراني؛ لا يتطلب الأمر الكثير من الجُهد والتفكير حتى يتضح لنا أن كل من الوهابية - السعودية والاثنى عشرية - الخمينية هما الإيديولوجيتان اللتان شكلتا حجر الزاوية في المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية. وعليه، يشكل كل من مصطلح السلفية (الوهابية) والشيعية (الخمينية) البُعد الإيديولوجي والثقافي الأهم للصراع.

وتؤكد الحقيقة التاريخية أنَّ الوهابية - السعودية والخمينية - الإيرانية لعبتا دوراً مهماً وأساسياً في ظهور الدولة (حالة العربية السعودية) أو النظام (حالة جمهورية إيران الإسلامية)، فالسعودية ككيان دولتي كانت نتيجة للتحالف الواقع بين القوة العسكرية والمالية المتمثلة في آل سعود والدعوة الوهابية، والجمهورية الإسلامية كانت نتيجة لثورة شعبية تزعمها آية الله روح الله الخميني (1902 - 1989)، صاحب أهم نظرية سياسية شيعية معاصرة في الحكم. ومع اختلاف النظامين غير أنَّ الدين أو الفكرة الدينية المؤسسة أو المذهب يُعتبر أحد أهم دعائم النظام ومركزات قوته ومصادر شرعيته واستقراره، إضافة أنَّه يشكل أحد قنوات التنقيف السياسي وتغذية الصراع الإيراني - السعودي، كما يُعد ووسيلة للنفوذ الخارجي أيضاً.

لهذا السبب من المناسب التعرف على الفكر الوهابي والفكر الاثنى عشري، والأهم من هذا الوقوف على نظرة كل طرف إلى الآخر حتى نتمكن في النهاية من التحقق من الفرضيات المطروحة ومن ثم الخروج بإجابة عن إشكالية الدراسة، والتي مفادها: هل يُعد الصراع الإيراني - السعودي صراعاً إيديولوجياً؟ أو بمعنى آخر هل يلعب الإيديولوجية - باعتبارها متغيراً مستقلاً - دوراً حاسماً في التوترات الحالية بين إيران والمملكة العربية السعودية (متغير تابع) أم أنَّها مجرد أداة يتم توظيفها في سياقات معينة؟ وكإجابات مؤقتة على إشكالية الدراسة، قمنا بطرح فرضيتين (02): الأولى تأكيد بالإيجاب على الإشكالية المطروحة أي أنَّ الصراع الإيراني - السعودي هو في حقيقته صراع إيديولوجي. في حين جاءت الفرضية الثانية بصيغة النفي أي أن الصراع الإيراني - السعودي لا يُمثل صراعاً إيديولوجياً حقيقياً.

انطلاقاً مما سبق، قسّمنا هذا البحث إلى ثلاثة (03) محاور: الأول يتضمن لمحة تاريخية عن الوهابية عبر سرد لمحة عامة عن هذا الفكر وخصائصه. أمّا، المحور الثاني فجاء للحديث عن الشيعية بشكل عام، والخمينية بشكل خاص. بينما، ارتئينا في المحور الأخير، أن يكون عبارة نظرة كل طرف إلى الآخر (الوهابي / الاثنى عشري). في حين تضمنت الخاتمة ما خلصنا إليه من استنتاجات ونتائج تتعلق بالدراسة وأهدافها. أمّا، فيما يخص المناهج المستخدمة، فقد اقتصرنا على أربعة (04) مناهج أساسية، ويتعلق الأمر بكل من: المنهج الوصفي؛ المنهج

(1) عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 11.

الاستقرائي؛ منهج دراسة الحالة؛ والمنهج التاريخي. كما استعملنا كأداة تحليلية بعض أدبيات نظريات الصراع الدولي والأطر الفكرية الماركسية التي تفسر السلوك الدولي، فضلاً عن بعض نظريات علم الاجتماع.

المحور الأول: عن الوهابية

ترتبط الوهابية (Wahhabism) أو الفكر الوهابي ارتباطاً وثيقاً بآل سعود والدولة التي أقاموها في الدرعية (نجد) ابتداءً من عام 1744م ما سُمي آنذاك بـ إمارة الدرعية (1744 - 1818) وإلى غاية الدولة السعودية الثالثة بقية الوهابية تُشكّل ركناً جوهرياً تستند عليه الدولة، حيث كانت السلفية كما يحلوا لأنصارها تسميتها بمثابة الإيديولوجية والدعوة (كمفهوم خلدوني) التي استندوا عليها لقيام الدولة السعودية بدعوى محاربة البدع والضلالات وإقامة الإسلام الحق (إسلام السلف الصالح). واستناداً على هذا المنطق الوهابي - السعودي أُعتبر كل مخالف لهم مهطقاً وكافراً وجب ومحاربته، غير أنه كان للشريعة والصوفية على وجه التحديد كما توضح كتب التاريخ الحظ الأوفر من هذه الحرب.

استمر التحالف بين الوهابية وآل سعود حتى الوقت الحالي مرد ذلك يعود أنّ نجاح كليهما كان مرتبطاً بالآخر لا سيما أن دعوة محمد عبد الوهاب كانت دينية (عقيدة) خالصة، حيث ما كان بالإمكان أن تنجح وتيمم على المنطقة وتقيم إيديولوجية سياسية وكياناً سياسياً يُمثلانها دون القوة العسكرية والمالية (آل سعود) التي تستند عليها وتستفيد منها في تحقيق أهدافها الدينية، ونفس الحال ينطبق على عائلة آل سعود التي مكنتها الوهابية الثقافية من تجنيد أبناء القبائل دون امتلاكها للعصبية القبلية.

ويُدرّك القارئ لتاريخ الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة أنّها كانت تقوم بشكل أساسي على الوهابية أكثر منها على آل سعود، ذلك أنّ محمد بن عبد الوهاب كما تُشير المصادر التاريخية كان أقوى شخصية في الدولة والحاكم الفعلي لها وإن لم يدعي ذلك، لا سيما وآل سعود لم يَكونوا يستندون إلى عصبية قبيلة أو وعاء قبلي كبير يحتويهم ويمدهم بالشوكة على حد تعبير ابن خلدون. وعلى ذكر هذا الأخير لا يعتبر التفسير الخلدوني لقيام الدولة أحسن التفسيرات في نشأة الدولة السعودية، ذلك أنّ التفسير الخلدوني يرفع من شأن القبيلة والعصبية بحيث تكون المبتدأ والمنتهى لأيّ عُمران حضري (Civilisation Sédentaire). في حين لم تتركز الحالة السعودية على العصبية بشكل أساسي وإنما ارتكزت على الدعوة التي وحدت من خلالها القبائل البدوية التواقفة للغزو في حالة تشبه في بعض جوانبها قيام الدولة الإسلامية التي ارتكزت على الدعوة النبوية وليس على العصبية القبلية والعشائرية.

وبالعودة للدعوة الوهابية فقد جاءت من الناحية الفكرية بالمنهج السلفي حسب اعتقاد المؤمنين بها، بهدف ما تعتبره تنقية لعقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وترى فيها الوهابية مخالفةً لجوهر الإسلام التوحيدي مثل: التوسل، والتبرك بالقبور والأولياء، والبدع بكافة أشكالها. ويصفها أتباعها بأنّها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وطريقة السلف الصالح في إتباع القرآن والسنة. فالوهابيون يعتقدون أنّهم حملة لواء الإسلام الحق الخالي من الشوائب والبدع الذي يجب على سائر المسلمين إتباعه. ويعتبر هذا التصور نقطة جوهريّة لديهم تجعلهم يجدون تبريرات لكل سلوكياتهم وأفعالهم.

غير أنَّ المفارقة تكمن أنَّهم يتقاطعون في هذه النقطة بالتحديد مع الشَّيعية، ذلك أنَّ السلفية الشَّيعية لا تختلف في إطارها المرجعي العام عن السلفية السُّنَّية (الوهابية)، فكُلُّهما تعلن التزام الكتاب والسُّنَّة لكنَّ مع انضغاط قائمة السلف لدى السلفية الشَّيعية واقتصارها على أئمة آل البيت ⁽¹⁾. هذه المزايدة على الإسلام من الطرفين جعلت الصراع ينتقل من اختلاف مذهبي وفقهي قديم إلى صراع إيديولوجي - سياسي على من يتزعم العالم الإسلامي بمعنى أنَّهما يُجسد الأنموذج الحقيقي والحصري للإسلام والدولة الإسلامية. دفع هذا إيران أن ترى في السعودية منافسًا إيديولوجيًا لها ونفس الحالة تنطبق على السعودية مما يعني أنَّ الصراع الإيديولوجي بين الوهابية والخمينية خرج عن نطاقه الديني والثقافي ليمتد إلى عالم السياسة والرغبة في الهيمنة على الإسلام، لا سيَّما النظامين السعودي والإيراني يشتركان في نقطة الادعاء بإسلامية نظاميهما.

أمَّا أصول الفكر الوهابي، فقد اعتمد بشكل أساسي على أفكار مؤسسه محمد بن عبد الوهاب (1703م - 1791م)، - وهو عالم دين سُنيّ (حنبلي) - من قبيلة بني تميم في منطقة نجد البدوية وبالتحديد في العيينة من وادي حنيفة وسط نجد - والقائد الديني واللاهوتي الأول للدولة السعودية الأولى، اشتهر بدعوته إلى رد الإسلام إلى شكله الأصلي مع التركيز على التوحيد والعقيدة. ومن أشهر مؤلفاته: كتاب التوحيد، كتاب الأصول الثلاثة، أصول الإيمان، الرد على الرافضة، ... وغيرها. وقد التقى محمد بن عبد الوهاب بعد خروجه - أو بالأصح طرده من طرف حليفه الأول عثمان بن معمر - من بلدته العيينة بأمير الدرعية محمد بن سعود آل مقرن واتفق الرجلان على إقامة الدولة الوهابية - السعودية عام 1744. وفي ذاك اليوم - كما يقول أمين الريحاني - عُقد العهد بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير أي بين المذهب والسياسة ⁽²⁾. ويؤكد المستشرق الفرنسي لويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسي (Louis Alexander Olivier De Corancez) أنَّ التحالف الذي كان بين الرجلين يُعد من الأسباب الرئيسية لانتشار المذهب الوهابي في كامل الجزيرة العربية، حيث زاد الحركة قوةً جعلتها تخرج من مهدها في أرض نجد وتؤسس لشعب وهوية جديدة تحت اسم الوهابيين ⁽³⁾.

وترتكز الوهابية بشكل كبير وعلى إحياء فكر تقي الدين ابن تيمية (661 هـ - 728 هـ/1263م - 1328م) وتلميذه ابن قيم الجوزية (691 هـ - 751 هـ/1292م - 1350م)، لا سيَّما في مجال العقيدة. أين تُعد كتب ابن تيمية مرجعًا لا غنى عنها. ومن أهم المصادر التي يبني عليها الوهابيون فكرهم والتي تنصدر المكتبات الإلكترونية الوهابية نجد: منهاج السُّنَّة النبوية في الرد على الشَّيعية والقدرية (09 مجلدات) لـ ابن تيمية؛ درء تعارض العقل والنقل لـ ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى لـ ابن تيمية، طريق الهجرتين لـ ابن قيم الجوزية؛ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لـ محمد بن عبد الوهاب؛ أمَّا في مجال الفقه فقد اتبعت الوهابية مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ومن الناحية التاريخية كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسهم اسم "الموحدون" أو "المسلمون" في مقابل المشركين، حيث أنَّ جل كتاباتهم التاريخية تستعمل هذا الاسم، أمَّا خصومهم فكانوا يُطلقون عليهم اسم

⁽¹⁾ عبد الله البريدي، السلفية الشَّيعية والسُّنَّية بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، بيروت، 2013، الشركة العربية للأبحاث والنشر، ص 36 - 37.

⁽²⁾ أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط 1، بيروت، 1928، المطبعة العلمية ليويسف، ص 30.

⁽³⁾ لويس دو كورانسي، الوهابيون تاريخ ما أهمله التاريخ، ترجمة: مجموعه من الباحثين، لندن، 2003، رياض الريس للكتب والنشر، ص 18.

يعود السبب في ذلك لما يحمله المذهب من محافظة وجمود إلى درجة التطرف جعل منه من أكثر الاتجاهات الدينية الإسلامية محافظةً، فهو كما يقول: وليد عبد الحي: "حركة سُنَّية تدرت (تغطت) بالمذهب الحنبلي الأكثر محافظاً من بين المذاهب السُنَّية الأربعة، واتكأت على تراث بن تيمية الأكثر محافظةً في الحنبلية، وجاءت الوهابية لتكون امتداداً لهذا كله بل وأكثر". فالتراث المحافظ للوهابية من جهة والبيئة النجدية القاسية صنعا من الوهابية حركةً متطرفةً جداً ضدَّ خصومها السياسيين والدينيين ومخالفها، سَمَّتها الأساسية العنف المبالغ فيه، ويؤكد هذا الكلام المصادر وكُتِب التاريخ بما فيها المصادر الوهابية التي تناولت هذه الفترة ⁽¹⁾، أمثال: بن غنام في كتابه: تاريخ نجد، وبن بشر في كتابه: المجد في تاريخ نجد، حيث وصف الحسين بن غنام حال المسلمين في شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدعوة الوهابية بقوله: "[...] كان أكثر المسلمين في مطلع القرن الثاني عشر الهجري قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية [...]". أما، علاقة الوهابية بالشَّيعة وهو الأمر الذي يهمن أكثر، فيتضح من خلال وصف بن غنام دخول الوهابيين الأحساء، إذ قال: "[...]، ثم غزا المسلمون (الوهابيون) وأميرهم عبد العزيز الأحساء وكان خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يسمى المطير في وهج على من كان فيه من المشركين (الشَّيعة)، فقتل منهم سبعين رجلاً وأخذ المسلمون كثيراً من الأسلحة والأمتعة والدواب" ⁽²⁾.

ويؤكد بن بشر هو الآخر نفس الكلام تقريباً بل يزيد عليه في وصف دخول قوات آل سعود إلى مدينة البصرة العراقية فيقول: "[...] ثم سار منها إلى البصرة ونزل عندها وسار المسلمون إلى جنوبها فنهبوا فيه وقتلوا قتلاً [...]". ⁽³⁾ كما وصف محمد جواد مغنية، في كتابه: هذه هي الوهابية، دخول الوهابيين إلى كربلاء، فقال: "[...] وكذلك غزا عبد العزيز كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود، وهدم قبر الحسين، ونهب جميع ما فيه من الذخائر، وأعمل السيف بالكربلانيين رجالهم ونساءهم وأطفالهم وكان ذلك سنة 1216هـ [...]". وقتل عبد العزيز سنة 1218 اغتاله رجل من الشَّيعة انتقاماً منه لما فعله بضريح الحسين في كربلاء [...] ⁽⁴⁾. كما أنَّ القارئ للكتابات المنجزة حول الوهابية سواء السُنَّية أو الشَّيعية يلاحظ أنَّ الكثير منها يتفق حول الطابع العنيف والتكفيري لها. ولعل من المناسب هنا أن نستعرض بعض من كتبوا عن الوهابية باعتبارها حركة دينية، فمن الذين عاصروا الدعوة الوهابية نجد: أحمد بن زيني دحلان، الذي كان مفتي مكة على المذهب الشافعي ومعاصراً للدعوة الوهابية الأولى، إذ وصف سلوك أتباع الوهابية فقال: "[...] صاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهتر الدم والمال [...]". ⁽⁵⁾ ناهيك أنَّ أخ محمد بن عبد الوهاب ويُدعى سليمان لم يكن راضياً على أفكار أخيه، فكتب رسالة مطولة أسماها: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ينصح فيها أخاه ويرد فيها على أفكاره التي رأى فيها تطرفاً وغلو كبيرين.

وواقع الحال، أنَّنا نجد أغلب علماء الدين المعاصرين يؤكدون على الطابع العدواني للوهابية، فنجد مثلاً: محمد سعيد رمضان البوطي يرى أنَّ وصف الوهابية بالسلفية لا يصح، إذ أنَّ معنى السلف في الاصطلاح يعني أفضل

(1) وليد عبد الحي، "الجيو وهاوية"، شوه في 01 فبراير 2018، في: <http://bit.ly/2zztgT>

(2) الحسين بن غنام، تاريخ نجد، تحرير وتحقيق: ناصر الدين الأسد، ط 4، بيروت، 1994، دار الشروق، ص 13، 122.

(3) عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط 4، الرياض، 1982، مطبوعات دار الملك عبد العزيز، ص 90، 296.

(4) محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، [د. م. د. ن. د. ت.]، ص 141 - 142.

(5) أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، إستانبول، 1978، مكتبة أشيق كتاب أوى، ص 5.

الدِّينية السُّنَّية (الوهابية)، وأدى ذلك في النهاية إلى سياسة تميّز طائفي واسعة النطاق مدعومة من قبل الدولة⁽¹⁾. والواقع، أنَّ هذا الأمر يُشكّل للنظام السعودي العديد من المشاكل بسبب أنَّ خصائص الوهابية والإرث الفكري لها صنعت منها هوية طاردة لا هوية جامعة. على الرغم أنَّ العلاقة بين النظام والأيديولوجية الوهابية قد مسها الكثير التغيُّر مع مرور الزمن وفقد العلماء الوهابيين الموقع المسيطر الذي كان يتمتعون به أيام مؤسس المذهب، إلى درجة أن ذهب بعض القراء لتاريخ الوهابية أن بن عبد الوهاب كان يُسيطر على عملية صُنْع القرار السياسي حتّى وفاته وليس أمير الدرعية محمد بن سعود. وقد استمر هذا النمط من التسيير إلى غاية عام 1892، أين بدأ الحكام من آل سعود يسيطرون على المجال السياسي بشكل مطلق، بينما ظل العلماء وأهمهم المتحدرون من نسل محمد بن عبد الوهاب (آل الشيخ) يُشكّلون جماعات ضغط تسيطر على قطاعات الدِّين (المؤسسة الدِّينية الرسمية) والتربية والإدارة والقضاء. وبهذا، سار العلماء الوهابيون الشريك الأصغر في التكتل ولم يُعد بمقدورهم تطبيق العقيدة الوهابية الصارمة خاصة في السياسة الخارجية⁽²⁾.

يُعد عام 1979 تاريخ انتصار الثورة الإسلامية الذي سوف لن تغيّر إسران فقط وإنما سوف تبعث الوهابية من جديد، فخوف حكام آل سعود من الثورة الجمهورية التي تُهدد المنطقة دفعهم إلى إطلاق يد العلماء الوهابيين من جديد بقيادة عبد العزيز بن باز (1910 - 1999)، بغرض تعزيز شرعيتهم السياسية والدِّينية. ضف إلى ذلك أحداث الحرم من نفس السنة، حين هاجم جُهيمان العتيبي (1936 - 1980) ورفاقه الحرم المكي (1979) واستولوا عليه مطالبين بإسقاط النظام (الكافر)، على إثر هذا قررت الحكومة السعودية توطيد سلطات المؤسسة الدِّينية الوهابية أكثر درءًا للفتنة ولأَيّ خطر من هذا النوع في المستقبل. مع ذلك، من الصَّعب تحديد الدور الدقيق الذي تلعبه الوهابية في قرار السياسة الخارجية السعودية، ولكنّها بالتأكيد تُعد قوة دافعة ورئيسية لها. ويظهر هذا الأمر بشكل واضح في المواقف والفتاوى التي تصدره المؤسسة الدِّينية الرسمية في السعودية والتي تعبر بلا شك عن رؤية المملكة وموقفها، كتلك الفتوى المتعلقة بالشيعة أو صدام حسين أو الربيع العربي أو المتعلقة بفلسطين والمقاومة ضدَّ الكيان الصهيوني، وفي الآونة الأخيرة كان موقف الوهابية من الأزمة مع قطر يدل بما لا يدع مجالاً للشك أنَّها تلعب دورًا هي الأخرى في دعم التوجهات السياسية للمملكة.

المحور الثاني: عن الاثنا عشرية (الخمينية)

على عكس السعودية يلعب المتغيّر الأيديولوجي دورًا أكثر وضوحًا في عملية صُنْع القرار في الجمهورية الإيرانية. يبدو هذا منطقيًا بحكم طبيعة زعيم الثورة ونظامها السياسي، فالمذهب الشيعي الاثنا عشري وما طرأ عليه من تجديد بفضل روح الله الخميني يُعد محددًا أساسيًا من محددات السياستين الداخلية والخارجية الإيرانيتين. خاصة في العقد الأوّل من عمرها.

(1) لورنس لوير، "الدولة والهويات الطائفية في منطقة الخليج: البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت في منظور مقارن"، ضمن: مجموعة باحثين، السياسة الطائفية في منطقة الخليج، تقرير موجز رقم 7، الدوحة، 2015، مركز الدراسات الدولية والإقليمية، ص 9.

(2) غيدو شتاينبرغ، "علماء الدِّين الوهابيون والدول السعودية (من عام 1754 إلى يومنا هذا)"، ضمن: بول ارتس وغريد نونمان (تحرير)، المملكة العربية السعودية في الميزان الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية، ط 2، بيروت، 2013، مركز دراسات الوحدة العربية، ص 34 - 35.

وتُعتبر مقولة الخميني "إننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية" أحسن تعبير عن رؤيته لمكانة الإيديولوجية الشيعية في سياسة إيران، علاوة على ذلك، فإنّ المادة الخامسة (05) من الدستور الإيراني تؤكد أن الفقيه الشيعي يُعدّ أحق الناس بولاية الأمر وإمامة الأمة الإيرانية في زمن غيبة الإمام. كما تتضح أهمية الدين والإيديولوجية للهوية السياسية لإيران من خلال تصنيفها الذاتي كجمهورية إسلامية أين سبقت في اسمها الرسمي صفة الإسلامية على القومية الإيرانية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، وهذا التسبيق لإسلامية النظام نجده في أغلب المؤسسات الرسمية الإيرانية، ناهيك عن الشروط اللازمة لتولي المناصب الرسمية، والتي هي شروط إيديولوجية بالأساس من خلال الإيمان بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد: أي أنّ اثنا عشرية كمذهب غير كافٍ ما لم يقترن بالإيمان بولاية الفقيه المطلقة كما جاء بها الخميني (نهج الإمام). ويتضح هذا الأمر كذلك من خلال تغيير رمز العلم الوطني الإيراني بعد الثورة. أين أمر الخميني باستبدال الأسد الشمسي والذي يُعد رمز الزرادشتية باسم الجلالة "الله".

تاريخياً، كانت الشيعية (Shiism) نزعةً سياسية أكثر منها عقيدةً دينية تتمحور أساساً حول مسألة الخلافة أو الإمامة وأحقية طرف على غيره، حيث تعود الجذور الأولى للتشيع لأول تصادم سياسي وقع بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) في عام 11 للهجرة (632 م). أين دب الخلاف بين المسلمين على من يخلفه. فكان صراعاً بين المهاجرين والأنصار (سقيفة بني ساعدة) ثم بين المهاجرين (قريش) فيما بينهم، حيث ذهب بعض المسلمين أنّه ينبغي اختيار خليفته عن طريق الشورى؛ فيما أراد آخرون إسناد الحكم لأقارب الرسول (ﷺ) والذي سيعرفون فيما بعد بـ آل البيت. واستطاع المسلمون الأوائل تجاوز هذه المحنة لبضع سنين أين حكم كل من: أبو بكر الصديق (ﷺ) (11هـ - 13هـ)، عمر بن الخطاب (ﷺ) (13هـ - 23هـ)، عثمان بن عفان (ﷺ) (23هـ - 35هـ)، وأخيراً علي بن أبي طالب (ﷺ) (35هـ - 40هـ) وهو بن عم النبي (ﷺ) وصهره، ومع الإمام علي (ﷺ) ومن جاء بعده من نسله بدأ التاريخ الحقيقي للشيعية في التبلور. أين كان صراع الإمام علي (ﷺ) مع معاوية بن أبي سفيان، ومع بعض كبار الصحابة — وهم: طلحة بن عبيد الله (ﷺ)، والزبير بن العوام (ﷺ)، وأم المؤمنين عائشة في وقعة الجمل — فيما عرف بـ الفتنة الكبرى ذو أثر كبير في تشكّل الشخصية الشيعية.

والحقيقة، أنّ الخلافات بين الإمام علي وشيعته من جهة، وخصومه من جهة أخرى آنذاك كانت سياسية خالصة، وحتّى التمردات أو الثورات التي قادها بعض أبناء وأحفاد الإمام علي كانت كلها لأسباب تتعلق بالحكم وأحقية آل البيت فيه، غير أنّ هذه النزعة السياسية ما لبثت أن انقلبت بمرور الزمن إلى عقيدة دينية ومذهبية، خصوصاً بعد واقعة كربلاء (61هـ - 680م)، أين قتل الحسين بن علي على يد القوات الأموية. وبعدها كان لامتزاج الشيعية مع الثقافة الفارسية وأقوال الفرق الكلامية والصوفية دورٌ أساسي في تشكّل هذا المذهب. كما أنّ الفكر الشيعي تعرض لتحولات وانقسامات كثيرة وأحياناً جذرية بحيث لم يبق في بعض الحالات إلّا التسمية التي تجمع فرق الشيعية، لذا يجب على الباحث أو القارئ أن يكون مدركاً لهذه الأمور حتّى يضعها في نصابها.

تاريخياً أيضاً، لم تتحول إيران لدولة شيعية إلّا في القرن السادس عشرة، وفي إطار صراع سياسي طويل بين الدولة الصفوية (1501م - 1736) والإمبراطورية العثمانية (1299م - 1923م)، أين قام الصفويون بنشر المذهب

الشيعي الجعفري وفرضه على الناس، ويُعتبر الصفويون في الأصل سلالة تركية لا فارسية، ولأنَّ إيران أو بلاد فارس كما كانت تُسمى في تلك الحقبة لم يكن فيها عدد كافي من علماء الدين الشيعة، فإنَّها لجأت إلى استيراد مجموعة من علماء الدين الشيعة العرب من لبنان، وبالتحديد من جبل عامل معقل الفكر الشيعي الجعفري من أجل إرساء دعائم هذا المذهب الجديد، إضافة إلى بعض علماء الدين الشيعة من البحرين.

ولا يستطيع أحد أن يُنكر أثر الحكم الصفوي لإيران سواءً سلباً أو إيجاباً على الشيعة، فالصفويين هم أول من جعل الشيعة الاثني عشرية مذهباً رسمياً للدولة وأغلبية ديمغرافية واستمر هذا الأمر حتى الوقت الحالي. كما تعتبر إيران الدولة الوحيدة التي استقر فيها التشيع كمذهب رسمي - رغم بعض محاولات بعض الشاهات اللاحقين على غرار نادر شاه (تركي الأصل) مؤسس الدولة الأفشارية (1736 - 1796) إحياء مذهب السنة - على الرغم من أنَّ الدولة الصفوية ليست أول دولة أقامها حكام ينتمون للمذهب الشيعي، فقد سبقهم الفاطميون (الدولة العبيدية) والحمدانيون، والبويهيون،... وغيرهم، إلَّا أنَّهم لم يتركوا أثراً بعدهم بحيث اختفت الشيعة مع زوال دولهم ولم يبق لها أثر في المجتمع الذي حافظ على سُنته عمومًا. ورغم هذا، التأثير من لدنَّ العجم على التشيع والشيعة غير أنَّهما حافظا عمومًا على أصالتهما العربية، إذ تعتبر الشيعة في الحقيقة مذهباً عربياً من حيث النشأة والتطور والفكر، وحتى في إيران فإنَّ ترسيخ هذا المذهب وتطويره كان على يد علماء الدين الشيعة العرب وليس الفرس، كما أنَّ أهم مدينة لتكوين الملاك الشيعة وهي قُم يعود الفضل للعرب في قيامها⁽¹⁾.

ويُعتبر المذاهب الشيعي من أقدم المذاهب الإسلامية، بيد أنَّ الحديث عن التشيع كفكرة وعقيدة ليس بالأمر السهل تحديداً عندما يختلط الدين والاعتقاد بالسياسة (التحول من حركة سياسية إلى فرقة دينية) ما يجعل من الصعب التفريق بينهما والخروج بموقف واضح غير مُتحيز (مع / ضد)، لا سيما أن المسائل السياسية غالباً ما يتم إعطاؤها صبغة دينية لدى الجماعات التي بنت أساسها على أسس دينية خالصة، على غرار الشيعة الذين يستندون في نظريتهم إلى أحاديث نبوية تعبر عن حقهم في الحكم من خلال النص السماوي طبقاً لأمر من النبي محمد (ﷺ) في بعض الأحاديث مثل: حديث المنزل^(*)، وحديث الغدير^(**)، وحديث الخلفاء القرشيين الاثنا عشر^(***). ناهيك أنَّنا نصطدم مع كتابات كثيرة حولهم إلَّا أنَّ أغلبها كتبها خصومهم السياسيين منذ الأمويين إلى غاية الوهابيين. فقد

(1) روي متحدة، بردة النبي الدين والسياسة في إيران، ترجمة: رضوان السيد، المشروع القومي للترجمة العدد 481، القاهرة، 2003، المجلس الأعلى للثقافة، ص 21.

(*) حديث المنزل عبارة عن حديث نبوي يستند عليه الشيعة مع مجموعة من الأحاديث الأخرى فيما يعتبرونه أحقية علي بن أبي طالب في الخلافة بعد وفاة الرسول محمد (ﷺ) وينص الحديث على "أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي" وحسب المصادر الشيعة، فإنَّ الرسول (ﷺ) أدلى بهذا الحديث في يوم المؤاخاة ويوم بدر ويوم فتح خيبر وغزوة تبوك ويوم غدير خم وحجة الوداع. ذكر الحديث البخاري والتبريزي في كتابه: مشكاة المصابيح، والشافعي في كتابه: أسنى المطالب، والسيوطي في كتابه: قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة.

(**) حديث الغدير هو حديث صحيح يصل لدرجة التواتر عند السنة والشيعة، مروى عن النبي محمد (ﷺ) في يوم 18 من ذي الحجة سنة 10 هـ، في طريق عودته بعد حجة الوداع في غدير يُدعى حُم قُرب الجحفة، وفي نص الحديث أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: "إنَّ الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن ومؤمنة. وأخذ بيد علي بن أبي طالب وقال: ألسنَّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي أمهاتهم فقلنا: بلى يا رسول الله قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه".

(***) روي عن جابر بن سمرة في صحيح البخاري: حديث الاثني عشر خليفة: "سمعت النبي (ﷺ) يقول يكون اثنا عشر أميراً فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي إنه قال كلهم من قريش".

الشَّيعَة أغلبية عددية - عدا إيران - محكومة من طرف حكام من السُّنَّة. وتجدر الإشارة هنا، أنَّ مُصطلح الشَّيعَة بشكل عام عرف بعض الاتساع من الناحية الإعلامية بعد أحداث الربيع العربي أين تنامت الطائفية حيث أصبح يجمع في طياته العلويين في سورية (النُصيرية) والزُيدين في اليمن (الحوثيين) إضافة طابعاً إلى الشَّيعَة الاثني عشرية.

من الناحية التاريخية، تُعد الاثنا عشرية فريقاً من الإمامية، هذه الأخيرة ولدت في القرن الثاني الهجري من بين عدد من الفرق الشَّيعية (الكيسانية، الزيدية) التي كانت تحارب الدولة الأموية وتلتف حول عدد من الأئمة العلويين أو الفاطميين. وامتازت الإمامية بلقبهم هذا لأنهم طوروا ولاءهم لأهل البيت من ولاء سياسي إلى عقيدة دينية، ويعود الفضل لجعفر الصادق (الإمام السادس عند الاثنا عشرية) في تبلور مذهب الإمامية بشكل حقيقي. وعلى هذا، أحدثت وفاة جعفر الصادق انقساماً داخلياً ضمن الإمامية بحيث تشكّلت فرقة الإسماعيلية، وهي إحدى فرق الشَّيعَة الإمامية وثاني أكبرها بعد الاثني عشرية. ويشترك الإسماعيلية مع الاثنا عشرية في مفهوم الإمامة، إلّا أنَّ الانشقاق وقع بينهم وبين باقي الشَّيعَة بعد موت الإمام السادس جعفر الصادق، إذ رأى فريق من جمهور الشَّيعَة (الإمامية) أن الإمامة في ابنه الأكبر الذي أوصى له إسماعيل المبارك (تسمى الفرق باسمه إسماعيلية أو مباركية وأحياناً سبعية لاختلافهم مع الاثنا عشرية في الإمام السابع)، بينما رأى فريق آخر أنَّ الإمام هو أخوه موسى الكاظم (الإمام السابع) لثبوت موت إسماعيل في حياة أبيه وشهادة الناس ذلك. والحال، أنَّ الإسماعيلية استطاعت أن تنشأ دولة محكومة من طرف هذه السلالة العلوية الشَّيعية امتدت لعدة قرون وحكمت جزءاً مهماً من العالم الإسلامي، عرفت بـ: الخِلافة الفاطمية أو الدَّولة العبَّاسية (909م - 1171م)، والتي كانت منافساً كبيراً في الشرعية (الخلافة) للعباسيين (السُّنَّة)، تجدر الإشارة هنا، أنَّ - في الوقت الحالي - جزءاً كبيراً من الإسماعيليين هم أتباع الأغا خان ويُسمون أيضاً النزارية.

وبالعودة إلى الشَّيعَة الاثنا عشرية فإنها لم تكسب هذه التسمية إلّا في منتصف القرن الرابع للهجرة / العاشر الميلادي، وحسب الباحث الإيراني المختص في الجماعات الشَّيعية فرهاد دفتري (Farhad Daftary)، فإنَّ أول استعمال لهذه التسمية - أي الاثنا عشرية - جاء بعد عدة عقود من غيبة الإمام الثاني عشر⁽¹⁾. ويعتقد الاثنا عشريون أن الأئمة أي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأحد عشر إماماً من ولده (من زوجته فاطمة بنت النَّبي محمد) معصومين ومعينين من قبل الله. ورفضوا - بناء على ذلك - الشورى كطريق لانتخاب الإمام، وكان قولهم هذا رد فعل على تسلط الحكام الأمويين بالقوة وتداولهم للسلطة بالوراثة وادعائهم للعصمة ومطالبتهم للأمة بالطاعة المطلقة. أمّا النظرية السياسية لدى الاثني عشرية فقد ولدت بشكل خاص في صفوف الشَّيعَة الموسوية (موسى الكاظم)، وبالأخص في الجناح المتشدد الذي كان يلتزم بقانون الوراثة العمودية (من الأب إلى الابن البكر) ولا يقبل أي تسامح فيه، وقد قال هذا الجناح بوجود قائمة مسبقة وتحديد أسماء الأئمة من قبل الرسول (ﷺ) باثني عشر إماماً⁽²⁾.

(1) فرهاد دفتري، تاريخ الإسلام الشَّيعي، ترجمة: سيف الدين القصير، بيروت، 2017، دار الساق، ص 83.

(2) أحمد الكاتب، الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري "حقيقة تاريخية؟ أم فرضية فلسفية؟"، ط 7، [د.م: 2008، د.ن.]. ص ص 5، 25.

ويعتبر سليم بن قيس الكوفي في كتابه المعروف بـ كتاب السقيفة أو بكتاب سليم بن قيس الهلالي أول من أشار إلى عدد الأئمة الاثنا عشر (12) حيث أصبح ما نقله أحد أهم المسلمات في الفكر الشيعي الجعفري. وهؤلاء الأئمة هم حسب التسلسل: علي بن أبي طالب (رابع الخلفاء الراشدين) الذي يلقبونه بالمرتضى (23 سنة قبل الهجرة - 40هـ)؛ الحسن بن علي (3 هـ - 50هـ) ولقبونه بالمجتبى؛ الحسين بن علي (4 - 61هـ) ولقبونه بالشهيد؛ علي زين العابدين بن الحسين (38 - 94هـ) ولقبونه بالسَّجَّاد؛ محمد الباقر بن علي زين العابدين (57 - 114هـ) ولقبونه بالباقر؛ جعفر الصادق بن محمد الباقر (83 - 148هـ) ولقبونه بالصادق؛ موسى الكاظم بن جعفر الصادق (129 أو 128 - 183هـ) ولقبونه بالكاظم؛ علي الرضا بن موسى الكاظم (148 أو 153 - 203هـ) ولقبونه بالرضى؛ محمد الجواد بن علي الرضا (195 - 220هـ) ولقبونه بالتقي؛ علي الهادي بن محمد الجواد (212 - 254هـ) ولقبونه بالنقي؛ الحسن العسكري بن علي الهادي (232 - 260هـ) ولقبونه بالزكي؛ وآخرهم محمد المهدي بن الحسن العسكري (225 هـ -) ويقولون أنه لم يمت ولكن غاب في السرداب ولقبونه بالحجة القائم المنتظر (غاب غيبة صغرى عام 260هـ لمدة 75 سنة وكان يتصل بشيعته من خلال أربعة (04) سفراء ثم غاب غيبة كبرى عام 329هـ) ومما يجدر الإشارة إليه هنا أنَّ الولي الفقيه هو نائب عن المهدي حتى خروجه (الغيبة).

وقد شكَّلت هذه النظرية بصفة عامة المرجع السياسي الوحيد للشَّيعة الجعفرية، لكنَّ بعد وفاة آخر ما يُعرف بـ: الأوصياء أو السفراء سنة 329 هجرية (علي بن محمد السَّمَرِي) - والأوصياء في الفكر الجعفري هم أربع (04) شخصيات (عثمان بن سعيد العمري السَّمَان، محمد بن عثمان العمري، الحسين بن روح النوبختي، علي بن محمد السَّمَرِي) كانوا يُشكّلون همزة الوصل بين محمد بن الحسن العسكري (الإمام المهدي) وأنصاره (الغيبة الصغرى) - دخلت الاثنا عشرية مرحلة جديدة عرفت بالغيبة الكبرى؛ وهي حالة انتظاريه طالت لعدة قرون، كانت فيها علاقة الشَّيعة بالسلطة الزمنية يشوبها نوع من السلبية والعزوف وحتى الاحتقار، ذلك أنَّ أية سلطة سياسية ليس الإمام المهدي على رأسها هي سلطة غير شرعية.

كان النتيجة تشكّل نظرية شيعية لا تستطيع إلاَّ أنَّ تخفض معنويًا من قيمة الدولة. حيث أنَّ فكرة الإمام المخلص الإسكاتولوجية (Eschatology) وجدت نفسها أمام طريق مسدود مع ما يعرف بالغيبة الكبرى للإمام المهدي ما جعل كل المجتمع الشيعي يعيش في حالة اغتراب وغزلة سياسية لعدم وجود الإمام، حالة الترقب والانتظار هذه حاول بعض الفقهاء الخروج منها بابتداع نظريات جديدة عرفت تطورات وأخذًا وردًا بين المراجع الشيعية، المفارقة أنَّ المُلَّاكي كان يتمتع بنفوذ كبير عند الجماهير غير أنَّه كان يكتفي بالشؤون الفقهية ويتجنب السياسة قدر الإمكان. ومن أهم المصادر والمراجع الشيعية (الإمامية) التاريخية الأساسية في هذا الصدد نجد مؤلفات كل من: الشيخ الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشَّيعة، سعد بن عبد الله الأشعري القمي، المقالات والفرق. الشيخ محمد بن أبي زينب النعماني، الغيبة. الشيخ الصدوق، كمال الدِّين وتمام النعمة. الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (شيخ الطائفة)، الغيبة. كما تتوفر شبكة الانترنت عدد مهم من المواقع الإلكترونية المروجة للفكر الشيعي على غرار موقع

آل البيت العالمي للمعلومات، وموقع: شبكة الشَّيعة العالمية الذي يحتوي على مجموعة من الكتب القابلة للتحميل والتي تعتبر مراجع للشَّيعة الإمامية من حيث التعريف بمذهبهم وشرح عقيدتهم والرد على مخالفهم. أمّا، أهم النظريات السياسية في الحكم التي عرفها الفكر السياسي الشَّيعي خلال هذه المرحلة فنجد: نظرية النيابة العامة، ونظرية النيابة الملكية، ونظرية المرجعية الدِّينية، ونظرية ولاية الفقيه المقيدة (النسخة الأولى) والتي كان علي الكركي العاملي أوّل من نادى بها. في حين تعتبر إسهامات الإمام الخميني ثورةً وصحوةً في الفكر السياسي الشَّيعي، أين طور الخميني نظرية سياسية جديدة (Khomeinism) تجمع بين نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب ونظرية ولاية الفقيه (المقيدة)، ما يُعرف باسم ولاية الفقيه المطلقة، وهي مصطلح سياسي مُحدث في الفقه والفكر السياسي الشَّيعي الاثني عشريّة بحيث ينوب الفقيه الجامع (آية الله أو آية الله العظمى) للشرائط في عصر غيبة عن الإمام الحجة (الإمام الثاني عشرة)، في قيادة الأُمَّة وإقامة حكم الله على الأرض حتّى يظهر.

وقد نقلت هذه الخطوة الفكر السياسي الشَّيعي من مرحلة إجازة الفقهاء للملوك الحكم باسمهم ووكالة عنهم (ولاية الفقيه المقيدة) إلى مرحلة حكم الفقهاء المباشر وممارسة مهمات الإمام بشكل وبصورة كاملة⁽¹⁾. أين يكون الملالي على رأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي مثلما كان الرسول الأعظم (ﷺ)، وهذا فقط يكون التجسيد الحقيقي للحكومة الإسلامية على حد تعبير الخميني.

والحقيقة، أنّ الخُمينية (أثناء حياة الخميني) لم تُلَقَّ إجماعاً على أرض الواقع من لدن علماء الشَّيعة الكبار ومراجع التقليد، والذين على قلتهم بقي الكثير منهم يتحفظ على ممارسة الملالي السلطة السياسية، حيث لم تُلَقَّ أفكار الإمام الخميني المتعلقة بولاية الفقيه المطلقة سوى القليل من التأييد وفي بعض الحالات الرفض من طرف مراجع التقليد الكبار على غرار: أبو القاسم الخوئي (1899 - 1992) أكبر مراجع التقليد نفوذاً في وقته، أو محمد كاظم شريعتمداري (1905 - 1986)، محمد جواد مغنية (1904 - 1979)، حسن طباطبائي القمي (1912 - 2007)... إلخ، ويعود السبب في رفض ولاية الفقيه المطلقة بصفة عامة والخُمينية على وجه التحديد لسببين (02) رئيسيين، الأوّل يتعلق كون ولاية الفقيه في الأساس نظريةً مستوردةً من الفقه السُّني، من خلال إسهامات أبو الحسن علي الماوردي في كتابه: الأحكام السلطانية، حيث نقلها الكركي عندما كان يدرس بالأزهر واعطاها صبغة شَّيعية. أمّا، السبب الثاني والأهم في معارضة ولاية الفقيه الخُمينية كونها قوضت النظام الإكليركي (Clerical) الشَّيعي الذي نشأ خلال الثلاثة القرون المنصرمة، حيث ألحق الخميني الشريعة بالثورة وجعلها تابعة لها وليس العكس، ناهيك أن الجمعية التي كانت قائمة بين آيات الله العظام قد عرفت نهايتها على يد الخميني ولصالحه، وعلى هذا فإنّ الثورة الإيرانية — كما يرى الباحث الفرنسي أوليفييه روا (Olivier Roy) — لم تكن ثورة آيات الله بل ثورة حجج الإسلام أي العلماء الأقل مرتبة في التراتبية الشَّيعية⁽²⁾.

(1) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشَّيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، بيروت، 1998، دار الجديد، ص 414.

(2) أوليفييه روا، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مزودة، ط 2، بيروت، 1996، دار الساقي، ص ص 166، 171.

المحور الثالث: الصراع الوهابي / الاثنا عشري

أولاً: وجهة النظر الوهابية للاثنا عشرية

تعتبر الوهابية - السعودية الصراع القائم بينها وبين الشيعة قائماً على العقيدة بسبب تحريفهم للعقائد الإسلامية وسبهم للصحابة، وقد استعان آل سعود لتبرير هذه الرؤية بمجموعة كبيرة من علماء الدين الوهابيين وجندوا لهذا ترسانة من الكتب والفتاوى والقنوات الإعلامية والمواقع الإلكترونية التي تؤكد على هذا الأمر، والتي من السهولة الوصول إليها، فعلى سبيل المثال كتب أحد رجال الدين الوهابيين المشهورين: أبو بكر جابر الجزائري رسالة أسماها: هذه نصيحتي إلى كل شيعي يتضمن فيها رؤيته للعقائد الشيعية، وبالتحديد الاثنا عشرية التي يعتبرها خارجة عن الإسلام، كما أن رأي المفتي العام للمملكة السابق عبد العزيز بن باز لا يزيد عن كونهم كفاراً في أغلبهم، إضافة أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية المتكونة سابقاً من: عبدالعزيز بن باز، عبد الرزاق عفيفي، عبدالله بن غديان، عبدالله بن قعود، لها الكثير من الفتاوى حول الشيعة تدور كلها تقريباً في نفس السياق، وهو بطلان عقيدة الاثنا عشرية، ومن بين المواقع السلفية (الوهابية) المهمة في الدعوة إلى الوهابية والذي يتضمن أيضاً مجموعة من الكتب للرد على الشيعة: موقع صيد الفوائد، والمكتبة الوقفية.

ولعل إلقاء نظرة بسيطة على عناوين الكتب - في المكتبة الوقفية - المخصصة للرد على الشيعة يعطينا صورة عن مدى الصراع القائم بينهما، فمن بين عناوين الكتب التي يحتويها هذا الموقع على سبيل المثال لا الحصر نجد: محمد بيومي، حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة. هجاد مساعد التيمي أبو ذر، الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة. بدر بن ناصر بن محمد العواد، النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية. سليمان بن صالح الخراشي، أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق. عبد الله بن منصور أبو حيمد، دعوى التحول إلى مذهب الإمامية الاثني عشرية على شبكة المعلومات العالمية الانترنت عرض ونقد. سيد حسين العفاني، خميني العرب حسن نصر الله والشيعة الرافضة الشر الذي اقترب. وحتى سلمان العودة الذي يعتبر أقل تشدداً له موقف يشابه فيه إخوانه الوهابيين⁽¹⁾. ما يعني أن هناك اجماعاً وهايباً على هذا الأمر.

أمّا، الملاحظة التي يتوجب الوقوف أمامها فتتعلق بتركيز الكتابات الوهابية على الاثنا عشرية في حين تستثني الفرق الشيعية الأخرى الأكثر تطرفاً منها من المنظور السني العام، كما أنها تعتمد في الحكم على عقائد الشيعة من الكتابات السنية والتراثية القديمة، حيث توجه اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أغلب السائلين عن الشيعة نحو الكتب التالية: مقالات الإسلاميين لـ أبي الحسن الأشعري، ومهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدريّة لـ شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب الفرق بين الفرق لـ عبد القاهر البغدادي، وكتاب الملل والنحل لـ الشهرستاني، والملل والنحل لـ ابن حزم، وكتاب مختصر التحفة الاثنا عشرية لـ شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي. في حين أن هذه الكتب كتبت في سياقات تاريخية معينة وفي ظروف سياسية خاصة.

(1) سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي، الرياض، 1989، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص

وعلى أرض الواقع، فإنَّ الكثير من المواجهات العنيفة تقع في موسم الحج بين حُجاج من الشَّيعة وقوات الشرطة الدينية السعودية (المطاوعة) بسبب ما يعتبره الوهابيون تشويهاً من لدُنَّ الشَّيعة لمناسك الحج من خلال إدخالهم بعض الممارسات المرفوضة من وجهة النظر الوهابية، وينعكس هذا الأمر مباشرة على العلاقات الثنائية بين السعودية وإيران، ذلك أنَّ أثنين (02) من أصل ثلاث (03) حالات لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كانت عقب مواجهات أثناء أداء مناسك الحج.

ثانياً: وجهة النظر السُّنَّية للاثنا عشرية

بعد عرض وجهة النظر الوهابية حول الشَّيعة من الضروري أن نرى وجهة النظر السُّنَّية تجاه الاثنا عشرية حتى نفي أنَّ هناك صراعاً عقائدياً أو طائفيّاً بين السُّنَّة والشَّيعة، ولنبدأ بأحد أشهر الكتب السُّنَّية التي تناولت موضوع الفرق الإسلامية، وهو كتاب: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، ل: عبد القهار البغدادي، الذي تناول الاثنا عشرية ضمن فرق الإمامية الخمسة عشر، ويسمى القطعية لأنَّهم قطعوا بموت موسى الكاظم وزعموا أنَّ الإمام بعده هو علي بن موسى الرضا. أمّا، كونهم غير مسلمين فلم يأتي البغدادي على ذكرهم في الباب الرابع من كتابه الذي خصص لبيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه مما يدل على اعترافه بهم كجزء من المسلمين. أمّا عمارة، فيرى أنَّ مجمل أهل السُّنَّة لا يكفرون الشَّيعة بل ينحصر تفكيرهم سوى في قطاع من السلفيين⁽¹⁾. ومن بين العلماء البارزين الذين خاضوا في هذه المسألة، شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت الذي أفتى بجواز التعبد على المذهب الجعفري. والشيخ محمد الغزالي، الذي قال: "[...] إنَّ الشَّيعة لا يفرقون عن الجمهور في اعتماد الأصول وبعدها سكنت فتنة النزاع على الخلافة والشقاق حول شخص الخليفة أصبح من العبث بقاء هذا التفرق وأصبح كلام الشَّيعة لا يزيد عن كلام أي مذهب إسلامي في فقه الأصول والفروع[...]"⁽²⁾. ويضيف قائلاً: "[...] ولا يختلف السُّنِّي عن الشَّيعي بالأخذ بسُّنَّة الرسول (ﷺ)، فالاختلاف في الطريق الموصل إليها وليس في السُّنَّة في حد ذاتها[...]"⁽³⁾.

ثالثاً: وجهة النظر الاثنا عشرية للوهابية

يربط الشَّيعة سواء كانوا عرباً أو عجمًا بين الوهابية كفكر وايدولوجية وآل سعود بما جعل العلاقة بين بينهما أكثر تعقيداً وانعكست في نفس الوقت على العلاقة بين الدولتين، حيث يعتبرون أنَّ آل سعود والنظام السعودي يُشكّلان مع الوهابيين وجهان لعملة واحدة، تكرست هذه النظرة المريبة أكثر مع اعتلاء رجال دين الشَّيعة السلطة في إيران. فنتيجة للأفكار الوهابية المتطرفة وسلوك الوهابيين السعوديين ضدَّ الشَّيعة ومقدساتهم منذ أول دولة لهم (1744 - 1818)، مروراً بالثانية (1818 - 1891)، ووصولاً إلى النظام الحالي (1932 -) تشكّلت نظرة سلبية عند الشَّيعة عمومًا تجاه الوهابيين، حيث لم يتوان الوهابيون في فترات زمنية سابقة عن استباحة دماء وأموال الشَّيعة.

(1) محمد عمارة، فتنة التكفير بين الشَّيعة والوهابية والصوفي، سلسلة قضايا إسلامية العدد 124، القاهرة، 2006، وزارة الأوقاف، ص 73.

(2) سلمان بن فهد العودة، المرجع السابق، ص 70.

(3) محمد الغزالي، ليس من الإسلام، القاهرة، 1998، دار الشروق، ص ص 63 - 64.

وتذكر الباحثة السعودية مضاي الرشيدي، في كتابها: السياسة في واحة عربيّة إمارة آل الرشيدي، أنّه في نهاية القرن الثامن عشر أدت النشاطات السعودية - الوهابيّة العسكرية في جنوب العراق إلى سلب الكثير من الحُجاج الفُرس المسافرين بين الحلة ومشهد علي، لذلك كان هؤلاء الحُجاج يشعرون بعدم الأمان لدى السفر على الأراضي السعودية، وحاولوا في سنوات لاحقة تفادي الطريق المؤدي إلى الدرعية، حيث كان يفضلون الطريق القديم المعروف بدرب زبيدة، (بين حائل وجبل شمر) الذي كان يسيطر عليه آل الرشيدي. هذا الظلم والاضطهاد أعاد الوعي الجمعي الشيعي المبني أساساً على المظلومية التاريخية إلى الحالة القديمة، أين تعرضوا إلى القتل والتهميش من لدن الأمويين، لذا لا نستغرب أنّ الكثير من مفكرهم يشبهون آل سعود ببني أمية ويكونون لهم نفس الحقد والعداء.

صورةً سيئةً للغاية إذن يملكها الإيرانيون الشيعة تجاه السعودية، عمقها إضافة إلى طبيعة الوهابيّة العدوانية والمورث التاريخي دعم السعوديين لأعداء إيران، فقد كان لدعم السعودية ودول الخليج العربيّة للعراق مالياً وسياسياً أثراً بليغة على النفس والشخصيّة الإيرانيّة، فعندما غزا العراق إيران عام 1980 كان الخميني يردد دائماً أنّ هذا الأمر ما هو سوى مكيدة من السعودية والولايات المتحدة الأمريكيّة. كما كانت هناك إشاعات وأخبار عن تقديم السعودية وإسرائيل وأمريكا مساعدات ودعمًا ماليًا لابن الشاه المخلوع رضا بهلوي الثاني قدرت آنذاك 800 مليون دولار من أجل القيام بعملية انقلابية على النظام الجديد⁽¹⁾. زد على هذا الخسائر التي يتكبدها الإيرانيون جراء السياسة التّفطية السعودية التي تخدم حسيهم العدو الأمريكي على حساب حياة ومعيشة الشعب الإيراني. كما أنّ محاولة المملكة التشويش على إيران من خلال دعم الحركات المعارضة لها لعل أهمها حركة مجاهدي خلق (سازمان مجاهدين خلق إيران)، واعتبار الشيعة أخطر من الكيان الصهيوني خلق ردة فعل عكسية عند الشعب الإيراني وحكومته.

ويؤمن الجعفريون أنّ الوهابيّة مذهبٌ مستقل بنفسه لا يُمثل السُنّة يتميّز بالعنف، إذ يقول مغنيّة: "[...] أن المبدأ الأوّل للوهابيّة، وشعارهم الوحيد، إمّا الوهابيّة وإمّا السيف، فمن اعتنقها سلم، ومن أبيح دمه وذبحت أطفاله ونهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوهابيّ إلى غيره إلا بهذه العين المكفرة المستحلة للأرواح والأموال[...]"⁽²⁾. أمّا، أحمد الكاتب فيرى أنّ الحديث عن الوهابيّة أنموذج للحديث عن الحركات الإسلامية المتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتجرد الآخرين منه أو تشكك في إيمانهم⁽³⁾. بينما يعتقد الإمام الخميني أنّ الوهابيّة مذهب خُرافي لا أساس لأيّ شيء منه على الإطلاق يسوق الناس والشعوب الغافلة نحو القوى الكبرى ويستغل القرآن الكريم لهدم الإسلام والقرآن⁽⁴⁾.

وعلى غرار موقف المؤسسة الدّينية الرسميّة السعودية من الشيعة نجد أيضاً المؤسسة الدّينية في إيران تتخذ موقفاً مناهضاً للوهابيّة سواءً من خلال الكتب أو الفتوى أو من خلال ما يعرف بحرب الإعلام الجديدة أين تمت العديد من المواقع المخصصة حصراً للهجوم على الوهابيّة، مثل موقع: المكتبة التخصصية للرد على الوهابيّة، أو

(1) بنفشه كي نوش، العلاقات السعودية - الإيرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم، ترجمة: إبتسام بن خضراء، بيروت، 2017، دار الساق، ص 27.

(2) محمد جواد مغنيّة، المرجع السابق، ص 78 - 79.

(3) أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابيّ قراءة تحليلية، المرجع السابق، ص 9.

(4) سيد روح الله الخميني، الوصية الخالدة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، شوهد في 01 فبراير 2017، في: <<http://bit.ly/2JkngDE>>

موقع: مركز الأبحاث العقائدية. ويؤكد رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني، في إحدى تصريحاته أثناء جلسة مجلس الشورى الإسلامي، بقوله: "[...] أن السعودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملاً لنشر إيديولوجية العنف من خلال نشر الوهابية التي تمثل إيديولوجية العنف في العالم، وذلك باسم نشر الإسلام ومن خلال بناء المساجد وتعليم الشباب. ومن جهة أخرى حاول النظام السعودي تهميش الأزهر الذي هو مركز فكري معتدل وأكثر عمقاً لأهل السنة [...]".⁽¹⁾ في حين يذهب محمد جواد ظريف وزير خارجية إيران، إلى القول: "أن الوهابية إيديولوجية نابعة من الكراهية معادية لكل من يخالفها، حيث لم تستثن أحدًا سواء الشيعة أو السنة، [...]، فالمشكل ليس في الصراع القديم بين السنة والشيعة، وإنما هو صراع بين الوهابية والإسلام ككل، فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية أنفقت الرياض عشرات المليارات من الدولارات لتصدر الوهابية للعالم من آسيا إلى أفريقيا، ومن أوروبا إلى الأمريكيتين من خلال بناء وتمويل الآلاف من المساجد والمدارس. هذا الانحراف اللاهوتي الوهابي المدمر قد شوه الإسلام. حتى قيل إن "السعوديين غيروا الإسلام تمامًا بأموالهم". وعليه، الكثير من أعمال العنف التي ترتكب باسم الإسلام يمكن أن تعزى إلى الوهابية"⁽²⁾.

والحقيقة، أن المجتمع الشيعي عمومًا الذي عاش فترة طويلة في الهامش وتحت الاضطهاد من طرف المنافسين السياسيين ترسخت فكرة المظلومية لديه، منذ أيام الإمام علي (عليه السلام) تم الحسين وكربلاء التي تعتبر نقلة في الفكر الشيعي جعلته أكثر تطرفًا. ويتقاطع هذا الأمر مع الذاكرة الجماعية (Collective Memory) والمتخيل الإيراني القديم والحديث الذي رسم صورة سوداوية عن السعوديين الذين أسهموا إما بشكل مباشر أو غير مباشر في المساس بالهوية الشيعية والمصلحة الإيرانية. لهذا، تعتبر السياسات الإيرانية المعادية للمملكة - كما يشير الباحث الإيراني مهدي خلجي - مشروعة وضرورية من وجهة نظر الحكومة والشعب الإيراني، بل أن التدخل العسكري للنظام في أجزاء مختلفة من المنطقة مشروع وضروري أيضًا نتيجة هذه الرؤية.⁽³⁾

كما يبدو أن الإيرانيين يُعادون سياسة الدول العربية، وبالتحديد الدول الخليجية أكثر مما يعادون العربية سواء ثقافة أو عرقًا، ولأ كيف يمكن تفسير أن اللغة العربية إجبارية في المدارس الإيرانية طبقًا للدستور، إذ تنص المادة (16): "بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل؛ لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية". علاوة على ذلك، فإن الترقى في المسؤوليات والمناصب السياسية داخل النظام لأفراد من أصول عربية يؤكد هذا الافتراض، زد على هذا أن الهوية الشيعية التي يتبناها النظام مرتبطة بعاملين (02) جوهريين هما: أولًا: العرب من خلال آل البيت والأسايد (أصحاب العمائم السود) والأماكن المقدسة لديهم، ذلك أن جل الأئمة الاثنا عشر (الإمام الثاني عشر حسهم في غيبة كبرى) مدفونون في بلدان عربية، حيث أربع (04) من الأئمة مدفونون في السعودية وبالتحديد في المدينة المنورة، وهم: الحسن بن علي، علي زين العابدين، محمد الباقر، وأخيرًا جعفر الصادق. وست (06) منهم في العراق، وهم: علي بن أبي طالب (الكوفة)، الحسين بن علي (كربلاء)، موسى الكاظم (الكاظمية)، محمد

⁽¹⁾ "لاريجاني: السعودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملاً لنشر إيديولوجية العنف"، وكالة أنباء فارس، 23 مايو 2017، شوهده في 01 يونيو 2017، في:

<<http://bit.ly/2NLAnB3>>

⁽²⁾ Mohammad javad zarif, "let us rid the world of wahhabism", The New York Times, 13/09/2016, accessed on 22/08/2017, at: <<https://nyti.ms/2rfNBKu>>

⁽³⁾ مهدي خلجي، "الحذر بين المملكة العربية السعودية وإيران"، معهد واشنطن، 04 أكتوبر 2016، شوهده في 01 سبتمبر 2017، في:

<<http://bit.ly/2uJgPfg>>

الجواد (الكاظمية)، علي الهادي (سامراء)، الحسن العسكري (سامراء). وواحد (01) فقط في إيران، وهو: علي الرضا (خرسان). ثانيًا: اللغة العربية من خلال النصوص والكتب الدينية الأساسية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتضارب معهما.

خاتمة:

أخيرًا، يمكننا القول إن الإيديولوجية تُعتبر مهمة في فهم الصراع على حقيقته لا سيما أنَّ المُعتقدات المشتركة الناتجة عنها تؤدي إلى خلق شعور بهوية المجموعة وتحديد أعدائها وخصومها ومن تم العمل ضدهم مما يعني أنَّ فهم الإيديولوجية وتفكيكها يُعد مفتاح الحل الفعال للعديد من الصراعات وكيفية إدارتها. غير أنَّ الصُّعوبة الكبرى تكمن في أنَّ الإيديولوجية لطالما كانت غير مفهومة ومتقلبة مما قد يعطي انطباعات خاطئة، ناهيك أنَّه لا توجد دولة إيديولوجية بشكل كامل ذلك أنَّه غالبًا من تكون سياسة الدول براغماتية حتى ولو ادعت العكس مما يعني أنَّ الفصل بين الاعتبار المصلحي والإيديولوجي للدول يُعد في الحقيقة أحد الحلول الناجعة لتفسير الصراع والأهم من ذلك استشراف مستقبلها.

وتُعتبر الحرب الباردة الإقليمية التي تخوضها كل المملكة الإسلامية والجمهورية الإسلامية في جزء منها نابعة من التناقض الإيديولوجي بين الطرفين والذي تنخفض وترتفع نسبة الإيديولوجية فيها حسب رغبة النظام السياسي وحسب المناخ العام والوضع الإقليمي، إذ من السطحية الاعتقاد أنَّ السعودية أو حتى إيران تُمثلان دولة إيديولوجية بحتة تبني كل سلوكياتها الخارجية على هذا الأساس، وإنَّما هما كما يُشير الواقع السياسي دولتان ذات توجه براغماتي بالأساس، ما نريد أن نقوله هنا هو أنَّ الإيديولوجية (الوهابية أو الخمينية) حتى وإن كانت جزءًا من شخصية النظامين؛ إلا أنَّها توظف في سياقات معينة ومحددة تتوافق مع سياسة الدولة وتوجهاتها.

مع ذلك، يبقى التفسير الإيديولوجي للصراع الإيراني - السعودي رغم عدم ظهوره أو أخذه حيزًا كبيرًا ضمن أسباب التوتر بين الطرفين أحد التفسيرات المهمة والمنطقية لحالة التوتر بين الغريمين لا سيما أنَّ النظامين يدعيان إسلاميتهما، وأنَّهما يُطبقان الشريعة في أمور الدين والدنيا. وتُعد هذه النقطة المشتركة (محاولة احتكار الإسلام) أحد أكثر الأسباب التي تُوّجج نار الصراع بين الطرفين بسبب التنافس على حيازة هذه الشرعية والقوة الناعمة التي تخول لهما حق تمثيل أزيد من مليار ونصف المليار من مسلمي العالم، أمَّا، السبب الثاني في هذا الأمر فيتمحور على طبيعة كل من الوهابية والخمينية إذ هما إيديولوجيتان متناقضتان من الصعب جدًا أن يتعايشا نتيجة الطبيعة الإقصائية للوهابية وكذا تصورها القائم على أنَّها تُمثل الأنموذج الحقيقي والنقي والوحيد للإسلام وللدولة الإسلامية.

وفي هذا الصدد، تملك الوهابية مشروعًا تاريخيًا (دولة السلف الصالح) في حين تملك الشيعة مشروعًا انتظاريًا (عودة إمام الزمان) تعتبره هو الآخر الأنموذج الإسلامي الصحيح والواجب الاقتداء به، وعلى هذا يخرج الصراع من مجرد تزمّت وهابيّ ضدَّ الشيعة وطقوسهم إلى تصور للدولة واستمرارها وشرعيتها، وما الوهابية أو الاثنا عشرية في هذه الحالة سوى أدوات إيديولوجية فعالة لتحقيق هذا الغرض لما تملكه من قوة على التجنيد والحشد،

دلالة ذلك نجدها بالعودة إلى تاريخ العلاقات الإيرانية - السعودية والتي بدأت بشكل رسمي عام 1925 أي في عهد الشاه رضا خان والملك عبد العزيز، أين تميّزت العلاقات بين البلدين - آنذاك - بشكل عام حتى الثورة الخمينية بكونها حسنة إلى حد بعيد؛ فإيران لم تكن تُشكّل منافسًا إيديولوجيًا للسعوديين في حين يُعد نظام الخميني منافسًا إيديولوجيًا لهم من حيث يحاول تجريدهم من أهم نقاط قوتهم وهي الزعامة الإسلامية. والجدير بالإشارة هنا، أنَّ الصراع السعودي - الإخواني راجعٌ في جزءٍ منه إلى المنافسة التي يمكن أن يُشكّلها هذا التيار الإسلامي السُنيّ في حالة نجاحه على حساب التصور السعودي. كما أنَّ الصراع العثماني - السعودي - لا سيّما أيام الدولة السعودية الأولى والثالثة - كان هو الآخر يندرج ضمن هذا الباب.

والحال، أنَّ الصورة السلبية التي يملكها الطرفان الوهابيّة والشيعية عن بعضهما البعض انعكست بشكل مباشر على الصراع السياسي وجعل منها إحدى أهم قنوات تغذيته وإعادة إنتاجه، وقد سعت كل من إيران والسعودية على أرض الواقع إلى تصدير رؤيتهما في جميع أنحاء العالم الإسلامي. حيث يتنافس البلدان على الهيمنة الإقليمية السياسية والروحية من خلال دعم الجماعات المتنافسة في الشرق الأوسط وفي مناطق أخرى في العالم. وكما هو الحال في جل الصراعات السياسية تستخدم إيران والسعودية الحقائق التاريخية بطرق مختلفة لدعم رؤية كل منها. مع ذلك، لا يُمكننا اعتبار هذا النوع من الصراع صراعًا إيديولوجيًا أكثر منه صراعًا سياسي على القوة المعنوية والناعمة الناتجة عن هذا التمثيل الحصري للإسلام. فالإيديولوجية وحدها (الوهابيّة أو الخمينية) لا يمكن إلقاء اللوم عليها في العلاقة المضطربة بين القوتين الإقليميتين، وإن كان هذا لا ينفي وجود خلافات إيديولوجية جوهرية بين إيران الخمينية والسعودية الوهابيّة والتي انتقلت في بعض الأحيان إلى سياساتهما الإقليمية واختيار الحلفاء.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

أ. الكتب

- (01) ارتس، بول، رولانتس، كارولين. العربية السعودية : مملكة في مواجهة المخاطر، ترجمة: ابتسام الخضرا (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016).
- (02) ارتس، بول، نونمان، غريد (تحرير). المملكة العربية السعودية في الميزان الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية. ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013).
- (03) البريدي، عبد الله. السلفية الشيعية والسُّنَّة بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2013).
- (04) البغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد. الفرقُ بين الفرقِ وبيان الفرق الناجية منهم. تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دارالأفاق الجديدة، ط 5 (بيروت: منشورات دارالأفاق الجديدة، 1982).
- (05) بكر، تامرطه. السلفية بعيون غربية. (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015).
- (06) بن بشر النجدي الحنبلي، عثمان بن عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط 4 (الرياض: مطبوعات دار الملك عبد العزيز، 1982).
- (07) بن عبد الوهاب النجدي، سليمان. الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية. ط 3 (إستانبول: مكتبة أشيق كتاب أوى، 1979).
- (08) بن غنام، الحسين. تاريخ نجد. تحرير وتحقيق: ناصر الدين الأسد، ط 4 (بيروت: دار الشروق، 1994).
- (09) بوركهارت، جون لويس. ملاحظات عن البدو والوهابيين. ترجمة: صبري محمد حسن، ج 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007).
- (10) البوطي، محمد سعيد رمضان. السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي. (دمشق: دار الفكر، 1988).
- (11) تويال، فرنسوا. الشيعة في العالم صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم. ترجمة: نسيب عون (بيروت: دار الفارابي، 2007).
- (12) الخميني، سيد روح الله. الحكومة الإسلامية. ([د. م. د. ن. د. ت.]).
- (13) دحلان، أحمد بن زيني. فتنة الوهابية. (إستانبول: مكتبة أشيق كتاب أوى، 1978).
- دخيل، محمد حسن. أنظمة الحكم في الوطن العربي دراسة مقارنة. (بيروت: دارمكتبة البصائر، 2014).
- (14) السويدي، جمال سند. السراب، (أبوظبي، [د. ن.].، 2015).
- (15) العروي، عبد الله. مفهوم الإيديولوجيا. ط 8، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012).
- (16) عمارة، محمد. تيارات الفكر الإسلامي. ط 2 (القاهرة: دار الشروق، 1997).
- (17) (-، -). فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفي. سلسلة قضايا إسلامية العدد 124 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2006).
- (18) العودة، سلمان بن فهد. حوار هادئ مع محمد الغزالي. (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1989).
- (19) الغزالي، محمد. ليس من الإسلام. (القاهرة: دار الشروق، 1998).

- (20) الكاتب، أحمد. الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري " حقيقة تاريخية ؟.. أم فرضية فلسفية ؟. ط 7 (د. م: د. ن.، 2008).
- (21) (-، -). الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية. ط 3 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008).
- (22) (-، -). تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. (بيروت: دار الجديد، 1998).
- (24) مغنية، محمد جواد. هذه هي الوهابية. (د. م: د. ن.، د. ت.).
- (25) مهنا، محمد نصر، معروف، خلدون ناجي. تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط. (القاهرة: مكتبة غريب للطباعة والنشر، 1996).
- (26) نوش، بنفشه كي. العلاقات السعودية - الإيرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم. ترجمة: إبتسام بن خضراء (بيروت: دار الساق، 2017).

ب. المقالات:

- (27) بدوي، منير محمود. " مفهوم الصراع : دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع." مجلة دراسات مستقبلية: العدد 3، (يوليو 1997).
- ت. الدراسات غير المنشورة:
- (28) جاسم، فاخر. "تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة." (أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، مقدمة إلى مجلس آية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008).
- ث. المصادر الإلكترونية:
- (29) "لاريجاني: السعودية ومنذ 60 عامًا كانت عاملاً لنشر ايديولوجية العنف." وكالة أنباء فارس: 23 مايو 2017، شوهده في 01 يونيو 2017، في: <<http://bit.ly/2NLAnB3>>
- (30) خلجي، مهدي. " الحذرين المملكة العربية السعودية وإيران. " معهد واشنطن: 04 أكتوبر 2016، شوهده في 01 سبتمبر 2017، في: <<http://bit.ly/2ujgPfg>>
- (31) الخميني، سيد روح الله. "الوصية الخالدة". جمعية المعارف الإسلامية الثقافية: ، شوهده في 01 فبراير 2017، في: <<http://bit.ly/2JkngDE>>
- (32) الصيداي، رياض. "الوهابية السعودية أخطر الحركات الدينية." الحوار المتمدن: العدد: 3020، 31 مايو 2015، شوهده في 01 فبراير 2018، في: <<http://bit.ly/2uqxQn4>>
- (33) عبد الحي، وليد. "الجيو وهاوية." شوهده في 01 فبراير 2018، في: <<http://bit.ly/2zztgbT>>

ثانيًا: المراجع باللغة الأجنبية

a) E-SOURCES :

- (34) Izady, Mehrdad. "Demography of Religion in the Gulf." 2013, accessed on 13/10/2017, at: <<http://bit.ly/2JlnaLW>>
- (35) Zarif, Mohammad javad. "let us rid the world of wahhabism.". **The New York Times**: 13/09/2016, accessed on 22/08/2017, at: <<https://nyti.ms/2rfNBKu>>